بسم الله الرحمن الرحيم

التقريظ

بقلم فضيلة الشيخ : محمد حبيب الله آدم عبد الله الإلوري ،

مدير مركز التعليم العربي الإسلامي أغيغي ، لاغوس ، وإمام جامعه وخطيبه .

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى أهله وصحبه أهل الوفى ، أما بعد :

فإن هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ : «الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري» لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا لعمل فريد نوعه لاعتبارين أساسيين :

الأول : أن الإلوري لم يكن مشهورا أو معروفا بالشعر ، وهذا لا يعني أنه لم يقرض الأشعار ، ولكن غلب عليه طابع الكتابة والتدريس ، والوعظ والإرشاد ، وتسجيل الوقائع التاريخية ، وإن مؤلفاته شاهدة على ذلك ، شبهه في ذلك فرسان الأقلام والعباقرة والكتاب ، أمثال عباس محمود العقاد ، ومصطفى صادق الرافعي ، والدكتور طه حسين .

والثاني : أن البروفيسور عبد الباقي تناول جانب الأدب الإسلامي ـ من أعمال الإلوري ـ بالدراسة والتحليل ؛ ذلك لأن الإلوري كرّس حياته لخدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة ما حبب إلى نفسه حب العربية ، ومع كونه أعجمي المولد والمنشأة ، إلا أنه كره استعمال الحروف اللاتينية في كتاباته حبا للغة القرآن الكريم ، واعتزازا وافتخارا بها مما رفع عن لسانه العجمة ، وهذبه ،

obeikan.com

ووسع آفاق مداركه ؛ فكان فصيحا بليغا شاعرا أديبا ، يذكرني قول ابن قتيبة حين يقول عن الأسلوب في كتابه «تأويل مشكل القرآن» ما نصه :

«.. وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله لغته دون جميع اللغات . فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح ، أو حمالة ، أو صلح لم يأت به من واد واحد ، بل يفتن فيختصره تارة إرادة التخفيف ، ويطيل تارة إرادة الإفهام ، ويكرر تارة إرادة التوكيد ، ويخفي بعض معانيه حتى يخفى على أكثر السامعين ، ويكشف بعضها حتى يفهم بعض الأعجميين ، ويشير إلى شيء ، ويكني عن شيء ، وتكون عنايته بالكلام حسب الحال ، وقدر الحقل وكثرة الحشد وجلال المقام» .

وهذا يتعلق بالأدب العربي من الناشئة والشباب والدارسين للثقافة العربية والإسلامية ، وإعادة الروح والنفس إلى الأدب والبلاغة بعد أن جف ماؤهما ، وذهب بهاؤهما في أوساط المبتدئين والمقتصدين في هذا المجتمع .

وقد كتب بعض الدارسين عن سيرة الشيخ آدم عبد الله الإلوري ـ رحمه الله ـ ولكن تنقص هذه الكتابات جوانب كثيرة من التنظيم ، أو التناسق الفني والترتيب الدقيق . ومنهم من تطرق إلى دراسة أعماله ، غير أنها لم تكشف عن حقائق تلك الشخصية العظيمة ، ومنهم من حاول جمع الآراء ، أو الأفكار الإلورية ، غير أنه ينقص هذا المحاول الجامع لآراء وأفكار العلامة الإلوري التعمق في البحث ، وللتدليل على ما أقول فإننا نرى أن دراسته في تناول الإلوري تسفر عن قصور باعه وقلة علمه وضيق صدره ، وقصر نظره .

إن الكتابة عن الشخصية العملاق لها طابعها الخاص ، ومقوماتها الذاتية الواضحة ، ولكل كاتب نظرته الخاصة به في الكتابة وطريقة التبويب وعرض الموضوعات ، وإن تسجيل الأحداث التاريخية أسهل على الكاتب كثيرا من الكتابة عن العظماء ؛ حياتهم ، وإنجازاتهم ، وآثارهم في مجتمعاتهم

أو شعوبهم ، أو جمع آرائهم وأفكارهم بالتحليل والتعليل والنقد والتدقيق ، وهذا يعد عملا شاقا ؛ لأن سيرة الشخص وفكره يتصلان اتصال الفكر بالعمل ، إذا السيرة والعمل والفكر تكتب للنظر والاعتبار . لقد ارتبط بمنهج البروفيسور عبد الباقي أمر هام انفرد به عن معظم الذين كتبوا عن الشيخ الإلوري ، أو الذين حاولوا جمع آرائه أو تدوين أعماله ، حيث انفرد بوضع نظام متكامل لسيرة الإلوري ، ولم يقتصر على النقل عنه والجمع ، بل التزم منهجه بالنظام المتكامل من التحليل والنقد والتعليق .

إنه درس النصوص من خلال الصياغة والوضع والبناء والترتيب ليلتقي الأسلوب بالبلاغة ، فينعكس عمق الفكر وروعة التعبير والإبداع ومرونة الذوق عند صاحب النصوص المدروسة .

ومن الأشياء الطريفة التي تكشف عن شخصية الإلوري أنه لم يشتهر بالشعر ـ كما أسلفنا ـ وإن هذا العمل الجبار يساعد القارئ على تتبع عبقريته الأدبية واللغوية والبلاغية في سهولة ويسر ، مما يبلور الجوانب الكامنة من المترجم سيرته ، ويكشف لنا من هو الشيخ الإلوري .

لقد جاء هذا العمل المبارك من البروفيسور عبد الباقي خطوة تقدمية ممتازة تصديقا لما هو معروف به ، حيث إنه غيور شديد الغيرة على العلم وأهله .

فإن كان هو اليوم بهذا العمل الفريد متوجها بما سبق ، فقد نال منزلة في نفس المرحوم الإلوري ؛ إذ فوّض إليه مراجعة كتاب « لباب الأدب» وكلّفه بالزيادة عليه ، وأي شرف يطمع في نواله أعظم من هذا الشرف وهذه الثقة! إنه هو دائما السباق إلى الغاية ، وكوكب من كواكب الدراية ، ناقد بليغ يقف على نواحي الأدب والبلاغة في كل ما كتب ، أو أُلف ، أو ما قيل من الشعر ، يشرح ويعلق وينقد ، فيحس القارئ في أعماله عمق الدراسة ، وشمول النظرة ، وإحكام التحليل بالأسلوب البليغ ، والنظم الجميل من المرونة، والدقة ، والإبداع الأدبي ، والذوق الرفيع ، والقدرة على الخلق والإنشاء الأنيق الجيد ، والصياغة الفنية التي لا مثيل لها .

وما يعجبني في هذا العمل أنه لم يلحقه لاحق من حيث إن أهميته ترجع إلى الثقة الكبرى للبروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا في كتابته ، وتناوله الموضوعات ، بأساليب بليغة ، وإنشاءات بديعة وتعبيرات أدبية ، فضلا عن تبويبه بأسلوب سلس بعيدا عن المبالغة ، مملوءا بالحيوية ، حيث دأب على التمهيد لما يتناوله بمقدمة تحدد موضوعه ، وتقيد القارئ على الاحتفاظ بوحدة الموضوع ، وتكشف لنا عن العلامة الإلوري وشيمته وطبعه ، وذلك بأن الكاتب أخذ بمبدإ الجوانب الشمولية من الدراسة .

وإني إذ أقدم هذا الكتاب للقارئ ـ في طبعه الجديد ـ أقول بملء الفم لا عن ارتباط الموضوع بشخصيتي ، ولكن عن الأمانة العلمية ، إن هذا الكتاب يعالج جوانب محصورة في تحليل المعنى ، وكشف الغموض الذي يكتنف جوانب شعرية من العلامة الإلوري ، واستمداد الموضوعات والدراسات من المجال الأدبي والبلاغي .

ذلك هو النموذج الخالد للكاتب الأديب البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا في دراسته هذه للأدب الإسلامي في ديوان الإلوري .

والله نسأل أن يبقيه ذخرا للإسلام ، ويحفظه لخدمة اللغة العربية وآدابها ، إنه ولي التوفيق .

محمد حبيب الله آدم عبد الله الإلوري

www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

فمنذ أن أذن الله ـ جلّت حكمته ـ بإصدار هذا الكتاب ؛ الطبعة الأولى عام ٢٠٠١ ، والثانية عام ٢٠٠٥م ، والثالثة عام ٢٠١٢م ، أثار انتباهات قوية على مسرح الحياة الأدبية بين أوساط الأدباء والمتأدبين على اختلاف انتماءاتهم الإقليمية والوطنية والعالمية ، وقوي العزم على مواصلة الدرب عند التعريف بمنهج الأدب الإسلامي على أوسع نطاق ثقافي شامل مناحي عديدة تشكل صورة يتراءى فيها أمثاله من أعلام هذا الاتجاه ، ولا تزال آثارهم منارة تشعّ ومضات وضّاءة لمعالم الكون ، ذلك بأن هذا المنهج لا ينتهي إليه في شيء عصبية ، ولا تهتدي إليه طبقية مثقال حبة خردل ، فطابت نفوس الأدباء وقرّت أعين النقدة مبدعين وواصفين ، فنطق لسانهم ، وطلق عنان يراعهم لإبداء ملاحظات ووجهات نظر ، ولا غرو أن يحثّ ذلك الأجيال كيف يقيمون تراث آبائهم على دولة عظيمة جادة الدراسة والتبيان ، لا سيما توظيف النصوص على مرونة أدائها الفني ، وتدقيق أجناسها ، وتحديد عناصرها على مقاييس مطردة في دقة تلاحم الفكرة والخيال ، والعاطفة ، والأسلوب ، وما يثيره من قيم فنية عليا ترفع الأدب من حضيض القول إلى سمو الحس ورقي الشعور ، وتستدعي للخلود والبقاء ، وتوجه ما يتعثر منه إلى السداد على حين كان قبلئذ مبلغ غايتهم دراسة الوجوه الفنية على مقاييسهم الجميلة ، وملاقاة القراء على الإبداع

الذي يواجهونه بهتاف عال من الإعجاب والرضى ؛ إما أن القائل ذو مكانة وعزة ومنعة في المهابة الأدبية قديم العهد بالتجارب الأدبية طويل الخبرات محنكا رائدا ، وكلما اعتنّ لهم بأن يلاحظوه أبت مقولتهم إلا ما يردّدونه : أنّى يحمل الذنب ما لا يحمله الرأس؟ وربما تكون العلة قصور ثقافتهم وضآلة ذوقهم واتخذوا الخمول قلعة حصونهم لنزعاتهم وتستر عورتهم ، ولا جرم فإن أدبنا قد ضار من كلا المقفين ضيرا كبيرا عاقه التصور العشوائي عن السير واختل به اختلالا بالغا .

ولله الحمد والثناء ، فقد أمدت العزم القوي عوامل نابضة ، فأنهضت إنهاضا بارعا تحريك العقول من رقدتها ، وإزاحة اللحون من بيانها ، فتفتحت أكمام الحقائق أن يتحين أسنح فرص لإضافة ظواهر أخرى استجدّت عند الطبعات السابقة ، بيد أنه قد حالت دون قصده ظروف لا يستبعدها من أناط الله رقة تكاليف الحياة العلمية بالأحضان الجامعية بما لها من أثقال في الرتب العليا من إلقاء ، وإشراف ، وتقويم ، وتقديم ، ومناداة ، وتناد ، وتحرير ، وتصنيف ، وتأليف ، وإبداع ، وتحقيق ، ونقد .

وبناء على ذلك فإن ذات الوجوه الفنية التي تجلّى بها ذلك الإصدار قد أيقظت تحديات صاخبة تتوجه إلى عقد سلسلة أخرى من التصديات التي تكفل رؤى ثاقبة تشرق بها طاقات رصينة ، وتراود على مبادرات طيبة ، تروق الشمول والاستيعاب ، وتثري النماذج قوى رافدة ، وتنمي تنمية وافية الذوق والملكة والأداء ، وكلتاهما قد غدوتا سحبا متراكبة ، كلما أصابت بقعة تتلوها أخرى متراكمة بعضها فوق بعض ، وعلى أمانة التواصل الأدبي الحي الكريم فقد التزم المنهج الإسلامي الحكيم في دقة مناداته ، تقويم المعوج ملبيا حاجات كل بيئة وزمان ، فظلت تلك الثوابت من موضوعات الكتاب في أدوار نشرها الأول تتعمق بها جذور التجربة والفعل والأداء ، سواء بما أبدت وأعادت ، وصرّحت وكنّت ، وما أوحت تجوّزا وتوسعا ، أو تجسّدت مثالية ، أو واقعية ،

أو رمزية ، أو حقيقية ، فتهيأت حبلى مبشرة لبنات أعاجيب الأغراض بل تفرز أنقى براعم التبيان ، منطلقة غاياتها القصوى في قيادة الموكب الإنساني بنمو مطرد ، وقياس سليم ، سعادة ورخاء ، وأمنا وطمأنينة ذات رؤى ثاقبة .

وبناء على ذلك وعد الكاتب القراء منذئذ ـ صدق الله وعده ـ عزما قويا بتغذية مكتبة الأدب الإسلامي لما تمكنه من تراث غرب إفريقيا ما استطاع إليه سبيلا لتعميره وإثرائه شرعة ومنهاجا ، وهدفا وغاية ، وتعبيرا عن الخالق والخلق والكون والحياة ، على هدى الكتاب والسنة والسلف الصالح .

والواقع أن فن الإلوري على هذه الشاكلة الوهّاجة لا يزال ينسج ضروبا متلاطمة أمواجه بالجدل والدهشة لتطعيم نهم الراغبين على وفاء تام لشروط معينة وتدفع الباحث إلى ضروب حنك ماهرة قديرة على تصنيع الذوق وصقل الملكة وتقلد نشاط دؤوب ، تبين ذلك كله تلقائيا عندما كتب الله له الرحلة عام ٢٠٠٢م إلى مصر ، فانبثقت همتي بهذا الإصدار وظلت تزداد قدرا ووجاهة أنبهت عظائم التحديات لمواصلة الدرب ، بل ما أعظمها وعيا قويا في الروع وأكرم بها حافزة غالية في عمر التأليف والإبداع ، لما يقلّه من غايات عليا في دنيا التجديد والتطور بالفكر الإنساني والتعبير الراقي عندما يقدر لها الخلود والبقاء ، ذلك بأنه لم يكد الكتاب يدفع لدور الطبع والنشر حتى صافحت عينا صاحبه يمنة ويسرة ، لافتين إلى ما أبدعه زملاؤه من عناوين مشرفة شرحا عميقا لأصول فكر أسلافهم من شركاء الإلوري البررة غدت أثارة علم على امتداد رقعة الكون الإسلامي ، وقد توطدت العلاقة بين أولئك وبينه في مسيرة الدعوة ، والوعي ، والبيان العربي ، أبرزهم بنو قطب سيد ومحمد وحميدة ، وأبو الحسن علي الندوي وتلامذته ، وبهاء الدين الأميري ، ممن انعقدت بينه وبينهم أواصر الزمالة بحلقات الإمام حسن البنا ، المرشد العام للإخوان المسلمين عام ١٩٤٨م ، عند قدومه إلى الأزهر الشريف ، ثم تجددت بينه وبين كامل الشريف ومجد بهجة ، وسعيد رمضان والآخرين أواصر مجيدة في توعية

الشبان أيام كان أولهم سفير المملكة الأردنية في نيجيريا وتاليهما داعيتين ، وهم جميعا قادة شجعان تمت بينه وبين العلامة صلات وثيقة في أحضان رابطة العالم الإسلامي ، ومؤتمر الشباب العالمي بليبيا ، والدار البيضاء في المغرب الأقصى وأمثال ذلك كثيرا في عقود المؤتمرات والندوات والملتقيات الإسلامية اليقظة في بيئات عدة طيلة حياتهم شرقا وغربا .

وأما أروع ما أقامته تلك الندوة من آيات التعاطف حين لقي الكاتب من أولئك الفتيان البارعين في حقول الأدب الإسلامي ولسان العرب ، فضمتني الأولى كوكبة ثاقبة من أعلام هذا المنهج عبر تلك الحلقات ، ولا أنسى ما لامسته في ذات الشيخ محمد الرابع نجل المرحوم أبو الحسن الندوي من قبسات نيرة ، وشروح لآراء شيوخ ندوة العلماء ، لكنّه إضافة إلى ما توارثه من والده الكريم من دماثة الخلق في الوفد المغربي الذي أفاض من مناقب بهاء الدين الأميري أدباء من الرجال قانتين ومن النساء قانتات ، ثم تُبودِلتْ الوجهات والآراء متمسكين معتصمين بمنهج الأسلاف ، وبلورته ، وما أخلده ذكرا وتنويها في مبادرات طيبة برحاب ندوة «لسان العرب»! فاحتك الكاتب بنوابغ من تلامذة الندوي مرة أخرى ، وتعززت العلاقات في وجوه شتى من الصحوة الذهنية المجيدة ، قدما برسالة أمتهم تكملة لنواقصها ، وتتمة لبناء أركانها ، فرصدوا عقولهم على تفقهها ، قاصدين بها الأصول التي توجب تكامل عناصرها والالتفاف حولها ، وشروع لجتّها ، ولا يزال الزمان يطرحها على بساط الجدل والمناظرة والمعاودة ، ولم تتضح غاية الاتضاح ، لأنه قائم أغلبها على الرموز والكنى ، أو أن أولئك السابقين قد مضوا زمانهم لما ينادون إليه ، فيحتاج إذن إلى نخبة ذكية تنهض نهضة بارعة إلى حقول مركزة في التحليل الحكيم الوجيه وفصول دقيقة من الموازنات العادلة ، وحقق الله تلك العزائم ، فانطلقت أصوات المنابر العلمية على تحكيم الكتاب والسنة وتوزيع نطاقهما في المناهج والمقررات والمصادر والمراجع فأصبح المتفقهون في البيان العربي يتسلمون الزعامة في الرئادة . سبحان من أنجز وعده ، ونصر

عبده ، فكان حقا نصر المؤمنين ، فابيضت وجوه الذين صدقوا ، واسودت جبائن الكاذبين ، فنعم السابقون ونعم المتسابقون .

ومن أقوى الإقبال بلا وهن ولا استكانة اطرادا دؤوبا أن لبّى الكتّاب والقرّاء على اختلاف أذواقهم ، وتوخى روحا مسالمة لتقدير كل انتماء ما دام توجهه مباشرا وتلقائيا إلى الإسلام وكتابه ورسوله وشريعته وعقيدته ، فلكل مجتهد نصيبه من الأجر والمثوبة ، وأن من أخطأ فقد وسعه عفو المولى عن الصغائر ما لم يتعاط الكبائر ، وأن ليس بقادح على من أحسن في كثير وأساء في قليل ، تلك عقيدة خيرة الأسلاف الصالحين أن كل طائفة من الفرق الإسلامية المجيدة يملك عضوية فعالة ، ولكل مجتهد مثوبة بقدر ما نال من نصب ، وأنهم جميعا يعملون لإحياء السنة وإخماد البدعة في حدود محيطه ومواقفه ، وعلى قدر إمكانه ، ولم يكن بدعة مستقبحة في ذلك اختلاف الأئمة لاختلاف الأمة ، بل رحمة ونعمة ، وليس بممدوح أن يحول التعصب عن الوحدة والاتجاه والتراحم ، فتنتشر حروب الانتقاد الجائر الذي يعمي ويغمز الحقائق ، ويقطع الأرحام شيعا وأحزابا .

وبناء على ذلك ، فقد راعى الكاتب العقلانيين الذين ينتمون إلى الفرقة الإزالية بما لها من نزعة اعتزالية (الكلامية) والصوفية (النفسانيين) وسمتها الأشعرية والروابط العلمية ، والطلابية الدعوية والثقافية على اختلاف مناهجها ومراكزها ، وقد استلهم الكاتب في مخاطبة الجميع مرونة الأسلاف البارعين ، عندما عرض القضايا ، والتجؤوا إلى استعمال تباين الأساليب التي تنقل مواقفهم بلا تناحر ولا تخالف ، ثم استقبلوا أجيالهم بصدور رحبة لأن الغاية المثلى توحدهم ، وتبعدهم عن الشقاق والفراق والعراك الدموي . وعلى سمو التقدير يوحي بالطباق الاعتباري على مفهوم أن الحياة سلسلة التناقضات ، وكلما تلاحم الأمران على تكامل أحدهما بالآخر تتفيأ ظلالهما على التراحم لأحدهما على الآخر إنصافا ، وعندئذ تخمد نيران التعصب الطائفي الذي يهلك الحرث والنسل .

وفعلا.شهد تراث البلاد أنواعا من الخصومات الأدبية بين الصوفية والسلفية، وانقسمت جبهاتها بين الأساتذة ، والطلبة المسلمين وغير المسلمين في الجامعات ، والكليات ، والمعاهد ، فأصبح التعادي شديدا يؤذن بالبأس والحرب تارة ، وأبرزها كتاب « العقيدة الصحيحة» للشيخ أبي بكر جومي ، والذي أجّج نيران الحوار الحارّ ، إذ انتقد الصوفيين في صيغ جملة مبدعة ـ على رأيهم ـ من الصلوات غير الإبراهيمية ، وتقطيع أوراد مغرية ، وتحديد مواقيت القبول والوصول على أدعية غير مأثورة ، وممارسة الرياضات التي اختلقوها غير مكتوب عليهم من قبل الوحي ، ومحاربة السدل للقبض وإيثاره بحجة منصقية «لا سنية» وغيرها كثير آخذ عليه جومي وأتباعه الصوفيين . وأما الطرف الآخر فقد لاحظوا عليه أن ما رماهم به من زلل وهفوات ومآخذ كان هو ذاته يراعيها منذ صباه توارثها من آبائه وأجداده وفي مقدمة أولئك المنافحين لزمرة الإزالة الشيخ ناصر الكبري الذي يقود القادريين ، والشيخ ثاني كافنغى ، الذي آلت إليه زعامة التجانيين ، واستحرّت المعركة متسللة في صفوف الجامعيين وساند الطائفة الأولى طاهر ميغير الذي أقام رسالته على طعون الشيخ إبراهيم إنياس ، وأسهم البروفيسور علي نائبي بـ« تعليق لغوي على كلمة الأسقم» الوارد في الصلاة المعرفة المتعارفة بـ« جوهرة الكمال» ، إذ كان زميله محائدا عن منافحة دقيقة وحبذا لو جعل تكنه حصنه الفكري ، فحق على نده أن يتخذ سنده من القلعة العربية .

وقد تمكن الكاتب فحسم تلك الخصومات حسما برعا مستخلصا اتجاهات الإلوري في أصولها العامة التي تتلاقى عليها قنواتها المختلفة في خضم البحر : الفكر الإسلامي والبيان العربي ، والدعوة إليهما حتى الغاية المثلى ، تتجلى حقائق هذا وذاك بالتفصيل والتوضيح والتركيز ، والتلخيص لتحرير عقود التوعية ، والتنظيم والتوجيه ، والتهذيب ، وغيرها من التعبئة السليمة التي تربى عليها أجيال آداب الشريعة من الله ورسوله بأسلوب علمي

واضح دقيق لتوحيد صفوف الأمة منذ عام ١٩٤٨م ، فكتب رسالته الخالدة « الدين النصيحة » جال بها جولات واسعة للتوعية والإيقاظ .

وما دام أنه قد تكبد مشاق الهدف النبيل الذي يقوده بالنثر العلمي وبين مهامه في حمل أمانته ودعوته لعباد الله المؤمنين على معارج الحياة في شتى مناكبها للسعادة ، والعزة ، والرخاء ، والفضيلة والحب ، فإنه لا يغيب عما تكون عليه ديوانه من غايات مثلى في الالتزام العقلي ، والقلبي ومناصرة الفضائل على الرذائل ، وبث اليقظة والصحوة لاسترداد الحرية ، والكرامة والعزة ، وما يوحي بالتباين لا يشكل فاصلا حاجزا سوى الأسلوب الذي يتحكم لاختلاف الأذواق ، ذلك بأن المخاطبين بالنثر هم الطبقة الدنيا من المتوسطين ، فهمهم لذة المعرفة وغذاء العقل ، وما دامت إزالة الجهل غايتهم فإن الأسلوب العلمي وما يتسم به من وضوح ودقة وما يقرب إلى الحقيقة مباشرة يلائمهم ملاءمة عظيمة .

بينما يمثل الصنف الآخر طبقة الأدباء ذوي الأبصار النيرة ، فيتحرون قوة الفكرة ، ورصانة الأسلوب ، وهم لا يعملون ولا يعظون ، بل إنهم يؤدبون وينصحون ، وقناعتهم إذا لا تمس المعرفة وحدها ، بل إن في طي النص ظلالا وارفة تكفي مؤونة الاستنفار فينفرون ، وتحمل قوة الانفعال فيتأثرون حركة أو سكونا ، حماسة أو رزانة ، عنفا أو رقة ، قوة أو سكينة .

وفي عام ٢٠٠٦م انعقدت أولى الندوات الأدبية على هذا المنهج الإسلامي في حرم كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية بإلورن ، وأبدت جرأة كبيرة إذ سلطت أضواء ساطعة على قضايا تقرر موضوعها « الأدب الإسلامي في نيجيريا الماضي ، والواقع ، والمستقبل » ، فتمكن الحضور من طرح حوار طويل عميق على الكتاب ، إذ كان يشغل بالهم شغلا عجيبا ليس لأنه يقرب إليهم الأقصى ، أو يصيب المغزى فقط ، ولكن ليلقوا سندهم ، وينال ثقتهم بما تؤانسهم نفوسهم عندما يقومون بالأدوار المماثلة ، وقد كلفهم على حسن نيتهم

أن يسوقوا جملة اعتراضات يسددها الخصوم ولامعادون على هذا المنهج الأدبي كرة تلو الأخرى .

وما أسعد هذه الفرصة! إذ أتت تواصل الدرب الذي شقّه الإلوري في مطاردة الغزو الفكري الذي أحدثه الاحتلال الأوربي ، وفرضه على البلاد وتراثها ، وشدد وطأته على الفكر الإسلامي في الكتاب والقياس ، فشرع العدو القانون الوضعي على شريعة الله ، والإنكليزية على البيان العربي ، وساءت المواقع التي لاقاها قادة من خطط التغريب والتجهيل ، والاستشراق والاستغراب ، والعلمانية والإلحادية ، وما لهم من جملة انتقادات يحملونها بأن هذا المنهج الرباني انتقامي من الأسس الأدبية الأوربية في ظواهر الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية والبرناسية ، أو أنه إمعي تقليدي فاتر لما عرف في صدر الإسلام قيما خالدة ، فعجز الزمان على تأدية مثلها ، أو أنه عرض شكلي يعوزه مفهوم أصيل ، متعصب لأحد العباقرة وهم كثر في منطقة غرب إفريقيا لا وحدها ، بل يحويهم الكون الإسلامي الرحيب، وأنه ينقصه التعريف الدقيق جامعا مانعا .

وعلى هذه التحديات المتراكمة سجّل الخصوم العدوان السافر على الموكب الإسلامي صادّين توجهاته الإنسانية في إنهاض الميادين الذهبية بكل ما يسعد الحياة العقلية في ضروبها المشرقة علما وفكرا وأدبا وفنا ، ومن الملحوظة أن البشرية تتهيأ بقبولها ونيلها على أكرم نشاط وأنبه استعداد في ظروف يقسو الاتهام والتشكيك في كل روحية ، ولكن الشعيرة الإسلامية المجيدة على الرغم مما ينقصها من معطيات الإعلام فإنها ستظل مصدر الإلهام الحق صفاء ، ونقاء ، وسدادا ! . ذلك بأن تلك الخصومات قد آلت إلا أن تعنف على منهج الأدب الإسلامي وأضرابه من النماذج الثقافية لتطاردها عن مسرح الحياة العقلية ، وأبى الله إلا أن يقيد لهذه الأمة وتراثها على امتداد رقعة الكون من يحيم ويدافع ، ونفر أولئك الرواد صامدين ماضين قدما إلى صعود المراقي العليا في التفكير العميق والبيان الناصع لاعتبارات هامة تقضي بصحبة واعية بتراثه ضد

الغزو الفكري ، إذ يغمره تارة معقدات صعبة ، وأخرى تغشاه سلسلة تناقضات وكلتاهما تفرض جهدا مضنيا يفقد فقدانا البته الحقائق والأسرار . ذلك بأن ظروفا متصاعدة نشأت معه منذ اللحظة الأولى أن فتح عينيه على مجرى الكون ولازمته ملازمة قوية طيلة وفاته .

وشدّ أزر الكاتب تلك المداخل الجميلة في تتبع معاني الكلمة عبر معاجمها الدلالية ، لأن عمر الإنسانية المعاصرة قد أغنى حجة وثقة بالفكر المعجمي وحسم القول حسما باتا بأن هذ المنهج على الرغم من حداثته فإنه يمتد إلى جذور عميقة في آراء متضافرة من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، وعندئذ نشأت مآثره القوية المبدعة على يدي الجاحظ ، وابن قتيبة ، وقدامة بن جعفر ، والمرزوقي ، أولئك العباقرة الذين راعوا دقة تلاقي الثقافات الأممية ، وأكدوا الأصالة ، وأثبتوا العراقة ، والتزاموا العربية في البيان والأداء ، فإن ما أثبته السلف من ضرورتها عند الاستنباط والقياس والاجتهاد لا تزال قائمة ؛ لأن كثيرا من نخبة القيم الإسلامية تنوط أمانة عرضها ونشرها بأولي العزم في البيان العربي على وجوهه الدقيقة . ويزداد هذا اللسان اقتدارا لتلبية هذه المسئولية مرونته الوجيهة حتى تتمشى مع سائر مثيلاتها لتوجب التمكن في اللسان العربي لا سيما أئمة المنهج لما يواجهه واقعهم عندما يأخذون بأيدي زمانهم وجيلهم . أما هواة القراءة وعشاقها فلا ضير عليهم أن ينالوا نصيبهم بأي لسان أمكنهم ، وإلا فإن التجربة المريرة الماضية والتي قضت بتعاطي الثقافة الإسلامية على أبواب مفتوحة حرة عند الأداء ، فقد رفع فئة لا يحسنون صنعا في فهم الأصول وظلوا يتسلمون مقاليد الحكم بدافع حماسة متطرفة ، ومن هذا المنطلق فإن هذه الطبعة تلتفت إلى إقناعات تسد فراغا واسعا مما توقعه سلسلة ذلك الحوار من ثغرات ظل رواد المنهج يبذلونها كرة ثابتة على مدى ربع قرن ، فتقررت بموجبها مكانته ، وتجلّت حقيقته ناصعة ، إلا أن قضية التأصيل لم تزل ثغرة تتسع شققها يوما بعد يوم ، على حين قد وضع السلف سدّها المنيع إذ كانوا يحررون مقدمة تتضمن المعنى المعجمي

والاصطلاحي فيجعلون بينهما ما يبرز قدرة التواصل الفكري بين العالم الداخلي تارة وبين الخارجي تارة أخرى .

وكذلك سدّ هذا الإصدار فراغ شبان المنطقة وأمدهم رؤى فنية مضيئة تحليل النص الأدبي على أسس فنية من تذوق الجمال ، فقد كانوا يعانون في توظيف عناصر متكاملة على مقاييس مطردة ، وكان مبلغ سعيهم قبلئذ أن ينثروا الشعر من قلادته العروضية ويعلقون على أبيات بأسس مفردات يوحي إلى تقطيع بعضها عن بعض ، ثم يشيرون إلى إبراز الوجوه الفنية ، وعلى ذلك يخصرون معانيهم على صور مجملة وأحكام مبهمة ذكرا تجريديا لا يعمق المعنى ولا يدقّقه بلا مراعاة إثراء المادة من وجوه وملابسات تحكمها ، وما يشدّه جميعا من روابط وثيقة تغدو آية كبرى في جمال التلاحم ووحدة التناسق .

لعل هذا وذاك يصرف العناية الكبرى في تعميق الأحكام الهادفة وتغذية الذوق السليم ، والمبادرة القوية إلى قوة الإحساس بقيمة انص ، والتعبير المقتدر على اقتضاب طرائف مليحة .

وفعلا ، قد انتفع انتفاعا عظيما بهذه الفئة الطيبة ثلة كبيرة من رائدي النقد البياني ويافعيهم ، فكانوا يؤتونها أولية عظيمة في تخيراتهم ومؤثراتهم مما قلّ أو كثر ، بل أصبح سنة متبعة يعد الخروج عليها من اختراق الألفة والرتق أعيا .

ومهما يكن الأمر ، فإن دراسة القيم البلاغية قد تطورت تطورا ملحوظا ، فأشرقت بها الوجوه وارتفعت الأقدار ، ورجحت موازينها رجاحة عادلة كريمة .

وإذا كان الجيل السابق قد قام خير قيام بالبطولات الواسعة ، وقفّاه الله بنخبة من فلذة أكباده يحملون شعاره ، وينفذون برأيه ، فإن هذا الكتاب لا يقلّ تعبيرا عن أصول أولئك من ذوي الهمم حين قاموا ناهضين شجرة باسقة ، وارفة الظلال ذات اليمين وذات الشمال ، مؤمنين بهذا المنهج قناعة علمية ذات رواسخ ، وما عليهم إلا أن ينزعوا نزعة حرة من التقليد الأعمى ، فقد نبغوا نبوغا صادقا

لما تركب فيهم من ميزة الأخذ والاقتباس على كفالة مجيدة من الانطلاقات الكريمة التي تصقل آفة الخمول، وتوقظ بواعث الركود.

وأكبر مناسبة وأرحبها حفاوة في هذا الإصدار تلك العزيمة الصادقة التي عقدها علية جامعة إلورن، قاد حملاتها الأستاذ الدكتور أَوْلَوِيَيْدَيْ إبان عهده مديرها بتعاون مع إدارة مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي تحت زعامة مديره وخطيب جامعه الشيخ محمد حبيب الله بن العلامة الإلوري لإحياء ذكرى بطولة شيخ الشيوخ الفذة، وقد أحلوه وساما خالدا في عدة مآثر أدبية عليا، ومثله يجدر به أن يحافظ له ركن قوي من أركان المكتبة العامة وألهم الجميع ذلك السعي الجليل ماضين قدما فترسموا خارطته الوضاءة لتفسر تفسيرا دقيقا ما يردده القرن العشرون بلسانه الفصيح: إنه إلوري، دائرة معارف، سباق غايات، وتلك الألقاب وما إليها؛ تحتاج إلى دقة التوضيح، ومرونة الشرح، وجلاء الحصر، ومن ناحية أخرى فإن ما تزخر به لباقته من كتب ومقالات ورسائل وقصائد ومناظيم ريادة، لأن تلك الآثار قد لبثت سنين عديدة في صدور الذين أوتوا العلم سرا مكتوما وإن خرجت تخرج إلى مسرح الحياة الأدبية على عبارات ذات كنى، ورموز، وملح، وخواطر، وإيحاءات من أولي الأبصار عقلا والأيدي يراعا على ملامح ضئيلة وجد الأمر كذلك مكتبته تقاسى معاناة شديدة معقدة في قضية الحصر الدقيق لتراثه موذنة في التصنيف المرن على مجرى التيارات التي لا تنقطع في مسارح الحياة العقلية، وقد تاه فيها الناس تيها شديدا نتيجة اختلافهم في الأمزجة والطبائع، فمنهم المعجبون بما تركبت فيه من ذكاء خارق للعادة مكنه من التفكير العميق، لا سيما عقيدته الوسطية. وقد ساعدته على بلوغ ما ينشده من لباقة الاستطراد السريع غير لبوث ولا ريث، فيخوض أودية غزيرة الأنهار، متلاطمة النماذج المتنوعة، والتي تدعمه للوصول إلى غاية بالغة الأهمية من النضج الفكري، والنبوغ الذهني، ويخلع كل صنف من أصنافها حرمة علمية، وتقديرا أدبيا لنضال المؤلف وجهده.

وما أغرب غرابة محمودة فيما استحوذ وما ينفك أسلوبه وروعة استدعائه قدرة عجيبة عند الأخذ بنواصي عناصر التراكيب ، وأجزاء التلوين ، على تفنن عظيم تغلبه السليقة الصافية من لوثة الركاكة متميزا بالقوة الهدارة تارة ، وبرقة سلسلة حينا آخر ، وغايته أن يظفر بأسلوبه في الجمع بين الوجهين ، ولزوم العروتين ، وإذ كان إحساسه بالوسطية لا يقتصر على الجانب الذهني وحده ، فإنه من أئمة الذوق الأدبي السليم الذين يقرون بأن ما ثبت للمعنى من حقوق معلومة لزم كذلك للفظ ضرورة التكامل عند بناء أركان النص .

وإذا استقرّ الأمر فإن وحدة وجهي العملة يشكل الجودة الكاملة بلا تغير ولا تناحر شكلا وموضوعا ، وعلى هذا الإطار العام ؛ يزداد فقه تراث الإلوري سندا قويا في رسم مبادئه ومقاصده ، ويسلم به تخطيط المنهجية لإضاءة الباحثين وإنارة رواده ، وعلى ضوء ذلك انتقدت موازنة وجيهة بين ديوانه « لقطات من أشعار الإلوري» وكتابه « الدين النصيحة » ، فاستقرت المقابلة بين وجهيهما جد الاستقرار .

وإذا تحقق أن الرجل قد صنعته الشدائد ، وحنكته التجارب ، فإن دراسة حياته قطعا تحتاج إلى تجميع الروافد العقلية ، ومضاعفة المساعي لحل رموزها ، وفك قيودها في قلة وكثرة ، وبناء ذلك فإن عبقرية الإلوري تستدعي ذوي البصائر على اختلاف مسالكهم وطبقات مكانتهم وغزارة موادهم وسعة سوائغهم فيشكلون بها مناهج ملتزمة ، وخططا منتظمة لسلامة الخطى ، وضمان الهدى ، ويغدو هذا وذاك مرآة صافية تعكس حقائق الحياة التي أفلتت من يديه ، وحقا قد بذل قصواه لتقريب بني الإنسان إلى تراثه ، ولكنه نثره مشردا حينا ، وجرده عن قلادته مرة أخرى ، كلها يحتاج إلى وضع منظار عادل بلا عوج ، مقسط بلا ذبذبة تلبية وجيهة لمتطلبات الحياة التي لا يتردد في قبولها العقل المنصف ، والذوق السليم ، ولا ضير أن يواصل الكتاب دربه الحكيم بإصدارات متوالية ، إذ غدت تملك قناعة قوية عند ما تسجل المواقف

انتصارات تلو أمثالها ، واضعة خارطة بهية على مسرح الحياة الأدبية الحديثة ، راسخة ثوابتها العريقة الجذور في توجه أدبي قوي البناء عميق الغور دقيق الأنس ، لا سيما الجوّ بالأدب الإسلامي كما كانوا يمارسون منهج دينهم ، فإنهم مغتبطون بملاحقة ركب المدنية الحديثة الجميلة . وفعلا فإن أمثال هذا النموذج الإنساني العبقري يستدعي كرات عديدة انتباه الدارسين ويولونه غاية المثابرة ، والمصابرة ، وآية ذلك أنهم كلما قطعوا شوطا أو أشواطا تطالعهم أخرى عالية المدى ، ولا يستنكفون فيواصلون دروبهم إحساسا عميقا بالسعادة ، التي لا تقدر بثمن أو جاه ؛ إذ تعوضهم مؤونة البحث ما تكبدوه من وجوه مثيرة الهمم العليا ، والعزائم الكبرى فتزداد له فرص المعاودة والمراجعة على مدار الأجيال للطبقات متوارثين على الدرس النافع .

ومهما يك ، فإن الثقة الكبرى عندئذ قد أناطت الشعر الإسلامي لدى الإلوري قلادة زاهية ، هزت الكاتب للسير قدما إلى تجلية ما خفا ، وترميم ما عفا ، وتسديد ما اعوج ، وتذليل ما صعب ، وإذا لم يكن في الوسع التام عرض تلك الملاحم المعقدة التي تواجه المنهج الإسلامي ، لا سيما ما يقاسيه في عقر دياره من عنت ومقت فإن تلك المصادقة القوية التي توحي بما يمتاز به الإلوري من قدرة واعية على تصنيع العباقرة على خطة منهجية سليمة ، أسوة بالسادة المحترفين بالعلم تدريسا ، وتدوينا ، وتأدية ، وقوة وبساطة ، ورقة ودقة .

فلا غرو إذا أنهضت تلك العزيمة الكاتب فتنادى إلى هذه الصحوة الأدبية المجيدة مشاركا فعالا لركاب البحث العلمي على اختلاف مناهجهم وطبقاتهم ، فإنهم جميعا على الرغم من ذلك التباين يلقون مياسرهم مغتبطين عليه ، وقدّر حسن تقدير ملابساته الفنية والعقلية والاجتماعية ، وترقى فأصبح كونا في غزارة علمه ، ووفرة أدبه ، وطرافة بيانه ، ودماثة مزاجه وأنه يحسن أن يقع زادا قويا لما سيتمخض له حقول الدرس والبحث خلاصة مركزة تشرق بها الوجوه ضياء وهاجا كلما انطلقت كلمة أو حوارا ، أو مداخلة أو مناقشة أو عرضا ،

openiken.com

أو مسابقة ، أو حكومة أو زيارة أو لقاء ، وطوى له بهذا وذاك تجديدا أوإحياء خالدين لذكرى العلم والمعرفة والفكر ، والأدب والنقد والبيان ، وتعارف عميق لتكوين الروابط الأدبية على أساس قوي من شعيرة ومشعر وقلادة فاخرة لكل فرد ، أو جماعة ، أو هيئة ، أو مؤسّسة ما دامت تتحقق السعادة الإنسانية بقطع النظر عن حدود جغرافية بشرية وما تحملها من آيات الألفة والرحمة .

سدّد الله خطى الجميع ، وألهمنا دوام التوفيق والهدى ، « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا» .

الإمام البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا ،

جامعة عثمان بن فودي

قسم الدراسات العربية ، صكتو - نيجيريا

openkan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ الكتاب
بقلم الدكتور أبي بكر عبد الملك
رئيس قسم الدراسات العربية سابقا
بجامعة عثمان بن فودي ـ صكتو ـ نيجيريا .

الحمد لله الذي اصطفى من كلّ أمة نبيها ، ومن كلّ جيل نبيلا ، والصّلاة والسّلام على رسوله الكريم النبي الأميّ ، محمّد ﷺ ، الذي استنّ الأدب الإسلامي قولاً وفعلاً وتقريراً ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اقتدى بهم إلى يوم الدين .

وبعد ،

فإنه ليسعدني أن حظيت بالاطلاع على كتاب الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا : (الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري). لقد عرفت الأستاذ الدكتور منذ عقود أربعة عام ثلاثة وستين وتسعمائة بعد الألف الميلادي ، في دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بإلورن نيجيريا ، وكان طالبا مجداً ، يتقدّم الصفوف الأولى من بين زملائه ، نال الشهادة الإعدادية بتقدير امتياز ، ثمّ واصل دراسته بمركز التعليم العربي بأغيغي ، وحصل الشهادة التوجيهية (الثانوية) بتقدير جيد ، ولم يزل حتى كتب الله له الرحلة إلى ليبيا ، ملتحقا بجامعة بنغازي ، فنال بها درجة ليسانس بتقدير امتياز ، بشعبة الأدب والبلاغة ، مما أهلّه لمواصلة الدراسة بجامعة بايرو كنو ، لإعداد ماجستير البلاغة عام ١٩٨٦م ، ثم

الدكتوراه في البلاغة ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة عثمان بن فودي ، صكتو نيجيريا ، عام ١٩٩٤م .

انتظم الأستاذ الدكتور في سلك التدريس منذ عنفوان شبابه من عام ١٩٦٤م، وظلّ يزاوِله إلى يومنا هذا ، مما جعله متشعب الأنشطة العلمية في نيجيريا وخارجها . أشرف على رسائل جامعيّة في مراحل عدّة من ليسانس ، والماجستير ، والدكتوراه .

شارك في عدّة مؤتمرات وندوات على الأصعدة الوطنية والقومية والعالمية ، وقدّم مقالات علميّة في ميادين الأدب والنقد والبلاغة والحضارة .

تقلد مهام إداريّة في بيئات مختلفة تنتهي نواحيها إلى نهضة الإسلام وثقافته العربية في شتى الميادين ، وآية ذلك تتويج مساعيه بدرجة الأستاذية عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

والكتاب الذي بين أيدينا لا يخفى على ذوي بصيرة ، أنّه جدير بعنوانه ومضمونه من حيث الالتزام المطلق لكلّ ما يستحسنه الإسلام من فكرة وأسلوب .

وليس من شكّ أنّ دارس عمل الأديب لا بدّ أن تكتمل لديه أدوات أساسيّة تمكّنه من العلوم العربية لغة وأنسابا وأحسابا وأيّاما وبلاغة ، فيرقى سلاليم الأداء الفني الرائع . ولذا ؛ فإنّ الدارس ذاته قد استوعب كثيرا من هذه الوجوه بلا ريب ولا محاباة .

ومع أنّ الكتاب قد حصر موضوعه دقيقا في الأدب الإسلامي ، إلاّ أنّ الكاتب شقّ طرقا وجوانب هامة أمام القرّاء حين صوّر عمل الشاعر الملتزم قولاً وعملاً ملبّيا ما يدعو إليه الإسلام من التأسي بالرسول الكريم ﷺ في إبداع القول وصياغة البيان ، نصرة لمنهج الله ونداء إلى مزاياه ، ولا شكّ أنّ الدارس تتجلى فيه الأسوة الحسنة التي أمر الله التحلي بها ، فاستجاب لهويته الإسلامية تبرز للقارئ معالمها الواضحة في ثنايا الكتاب سواء من جانب القيم المعنوية أو الفنيّة .

وبهذا وذاك نقول مرّة أخرى : إنّ المؤلّف قدير على إبراز اهتمامه البالغ في تخصّصه الدقيق ، فغدا هذا المنهج مثمرا في الدراسة مما جعل الكتاب آية من آيات النقد والبلاغة التي أظهرها الله في القطر النيجيري منذ أن بدأت فيها العربية على حياتها العلمية النشطة ؛ لأنّه قد أثبت ما تتطلّبه الدراسة في أسلوب راق ممتع ، وأنّه يوجب على كلّ دارس إمعان النظر في قراءته ليتدرّب على التأدي والتأديب الإسلاميّين .

والله أسأل أن ينسئ في عمره ويبارك فيه ، ويكثر أمثاله في القطر النيجيري خاصّة ، وفي العالم العربي الإسلامي عامّة ، إنّه قريب مجيب ، وبالإجابة جدير .

حرّر في : ١٥ من ربيع الثاني ، ١٤٢٣هـ

الموافق : ٢٥ حزيران ، ٢٠٠٢م .

الدكتور أبو بكر عبد الملك

رئيس قسم الدراسات العربية سابقًا

جامعة عثمان بن فودي ـ صكتو ـ نيجيريا

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد :

فلما أنعم الله علي بالانضمام إلى رابطة الأدب الإسلامي العالميّة عضواً عاملاً ، اتّخذت منابر من معاهدنا وجامعاتنا منطلقا ممارسة نشاطها والدّعوة إليها ، والتبشير بها ؛ إذا كانت تلكم الربوع بمثابة الذروة العليا علما وأدبا وبيانا ، فعقدت في أحضانها سلسلة محاضرات تلبية لنداء أصحابها في مناسبات عدة[1].

(1) كانت الحلقة الأولى (الإلوري آراء وأفكار) ، عقدها اتحاد طلاب المركز ، فرع ولاية كوار ، بكلية التربية بإلورن ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م لمرور عام على وفاته ، ونظّم الثانية (ديوان الإلوري: ١٩٩٧م) قسم النشاط الطلابي بالجامعة الإسلامية ، ساي - جمهورية النيجر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، بدعوة من مديرها الأستاذ الدكتور عبد العلي الودّغيري ، أمد الله في عمره ذخرا للعلم والإسلام ، واستضافت الثالثة إدارة دار العلوم بإلورن ، ولاية كوارا ، نيجيريا ، في العام نفسه بعنوان (لامية الإلوري دراسة وتحليل) في عهد المرحوم الأستاذ فازازي عبد الكريم ، وانتظمت الرابعة (الأدب الإسلامي بين التأصيل والتجديد) بالجامعة الإسلامية بساي ، وأخيراً شارك الكاتب بعنوان : منهج الأدب الإسلامي في دور الفكرة والواقع لندوة الأدب الإسلامي بمصر ، المنعقدة ما بين ٦ : ٩/٦/ ١٤٢٣هـ / ١٥ : ١٨/٨/٢٠٠٢م بعناية المكتب الدولي للمنهج .

obeikan.com

ومن ثمّ تجمّعت لدي ثروة غزيرة من كنوز الشيخ آدم عبد الله الإلوري ، وهي تسير على وتيرة تلائم ذوق المنهج ، وتضيء معالمه ، وتبين خصائصه .

على أنّ جمهرة من القرّاء لاسيّما شغفة تراثه كانوا ولا يزالون يوجّهون إلي بحسن ظنّ وثقة كبيرة رغبات ملحّة في المضي قدماً على مواصلة المسيرة . ولعلّ أقوى الدوافع وأجدرها بالإشارة أنّ ثلة كبيرة من طلاب متخصّصين يكنّون إعجاباً واعتزازاً بهذا الاتّجاه منذ أن لقوه يلهمهم كيف يوقظون تراث آبائهم من سباته ، حين أمدّه بلواقح مخصبة من نماذج قويّة لتعود مكانته وبهاؤه ، فتواكب ركب الحضارة الإنسانية على ضوء التصوّر الإسلامي أسوة بما كان عليه في عهوده الذهبيّة السابقة .

وحقيقة فإنّ هذه الدوافع قد قلّدتني مهامّ جليلة تتخذ وجوها عدّة يتبلور جميعها في اتّجاهاتي دينا وعلماً ، وعرقاً ودماً ، وهوية ، وفكرة وأسلوبا ، وهي بلا شكّ قد أذكت منّي عزائم قويّة ظلّتُ عليها على مدى ثلاثة عقود[1]، فازددت عناية وهمّة ، ونهضت إلى جمع تلك المحاضرات والندوات لصياغتها على صورة تغدو كتاباً واضح المعالم ثابت الأركان ، وكنتُ مغتبطا أي اغتباط ، لأنّ الباحثين يعدّونه ثمرة عقليّة ناضجة في أدقّ معانيها ، ويقظة فكريّة جليلة لمسايرة ركب العلم ، والحضارة ، والأدب ، والفنّ ، اللّهم إلاّ أنّني كثيراً ما ترجح لدي كفّة الإحجام على كفّة الإقدام ، وقلّما يسلم من يقتحم أمثال هذه المغامرة لما يلاقيه من هول ، وخطر ، ومقت ، وعنت ، لكني اقتنعتُ أخيراً بأن كلّ تجربة رائدة تحتاج في بادئ أمرها إلى التضحية ، وأنّ لكلّ مجتهد نصيبه .

ومن المقطوع به أنّ العلاّمة الإلوري تربطه وحدة الهدف بتلك الجامعات والمراكز من جانب ، وبموضوع الكتاب من جانب آخر ، فإذا يقظت تلك

---

(1) وفي عام (١٩٧٢م) وعند إعداد رسالة مرحلة الماجستير عام ١٩٨٣م خطر ببالي أن أكتب موضوع « الإلوري ونضاله الإسلامي » فحالت بيني وبينه ظروف علمية .

القلاع العلميّة ذاتها لاسترداد أمجاد أمتها ، وخاصّة خلافتها الإسلامية الضائعة ، فإنّ الفكرة نفسها قد تعمّقت أبعادها في اتّجاهاته تعمّقا بعيد المدى ، وإذا آلى أولو الغيرة المجيدة من الأدباء والبيانيين على أنفسهم إلاّ أن يقفوا متصدّين للاتحلال الذي يحاول دائما تبديد قيمنا الإسلامية ، لأنّ عزّة الأمّة تقاس عند ابتعاثها بيقظة حياتها الأدبيّة ، فإنّ الهمة نفسها قد جعلت الإلوري في صفوف أمامية ، حين رصد طاقاته الأدبية والعلمية والثقافية في نصر قضايا الفكر الإسلامي والبيان العربي أمام خصومه على نحو ما يقارب نصف قرن ، يبثّ الصحوة المجيدة في نفوس هذه الأمة لمقاومة عوادي الزّمان حتى تعود قوّة هذا الدين ودولة العاملين المخلصين .

وواضح أنّ هذه الغاية المثلى هي ذاتها الحافزة القوية لإنشاء المنهج ، فانطلق رواده البارعون لمنازلة تيارات هدّامة مستهدفة التراث الإسلامي وفنونه المختلفة جملة وتفصيلاً ، ومن هنا توقّدت عزيمة الكاتب لتجلية تلك الحقائق والتنسيق بين مبادئها ومقاصدها من خلال ما توفّر من قصائد الإلوري ، وهي توحي بأنّ أدبنا العربي النيجيري وما حوله من القرى في غرب أفريقيا مرن قدير ليستشفّ روحا وثّابة تهيئ الجوّ الملائم لهذا الاتّجاه العظيم ، وهو يعدّ اليوم صدى لكثير من مواقف أسلافنا الأدباء الذين أخلصوا علومهم وآدابهم ، وفنونهم رعاية لمصالح هذا الدين الحنيف وسواء علماء كانوا أو أدباء أو مفكرين أم فلاسفة فإنهم جميعا أئمة الإعلام الإسلامي ومزاياه العظيمة ، وأنّ هذه الهمّة هي أقوى عوامل انتباهاتهم إلى الأدب وفنونه ، لمحاربة ما يدور في زمانهم من شوائب الضلال المتشاكسة بدعة وشعوذة وخرافة في العقيدة ، والعبادة ، والعادة ، والسلوك ، وفي العلم ، والثقافة ، والحضارة ، وفي الأدب ، والبيان ، والفنّ ، وفي السياسة ، والإدارة ، والقضاء ، لبناء طرق مثلى على ضوء الكتاب والسنة ، ولا تزال القيم الإسلامية من مبادئ ومقاصد مجيدة تعتزّ وتزهو بذوي البسطة في الأدب وفنونه الجميلة لهداية النّاس إلى مواطن سعادتهم .

وحفّزني اختيار ديوانه محور عملي لأنه الوحيد الذي ظلّ مجهولا من بين فنونه لأمد طويل ، وظنّ أناس بأنّه لم يتعاطه قطّ حياته ، أو زهد فيه على سنة فئة يعتقدون الشّعر مروقا في الدين وخروجا على الملة ، وقد تحقّق غرضي فظلّت تلك الحلقات والندوات تثير يقظا لمّاعة شاملة أوساطنا الأدبية منذ عرضها ، وأنهضت ملاحظاتٍ نقديّة مواقف مضيئة تذكي إذكاء قويّا أدبنا العربي ، وقد استقبلتُها بارتياح عظيم ، لأنّها تجلي عن هذا الفنّ وجوها جديدة تثبت عوامل الرقيّ والجودة ، وتبدّد الظلام والركود ، وتذوّق جمال النصوص الأدبية على أسس نقديّة بنّاءة كانت مفقودة بيننا منذ عصور بعيدة ، وعلى تلك الشاكلة انقسم الدارسون إلى فئتين ؛ إحداهما : مادحة ومشيدة بمحاسن الديوان ، لما رأوا في صاحبه من شاعرية تحكي طراز الأدباء الذين نازلوا منازلاتٍ عنيفة الأوضاع الخبيثة منادين إلى فضائل وقيم ببدائع القول وروائع البيان للانضمام إلى هذه المسيرة ، فيما يتعلّق بشجاعة قائله الأدبيّة ، لأنّ الضعف المعنوي قد استولى على نفوس أدباء البلاد إبّان العهد الاستعماري البغيض ، ولم يستطيعوا إلاّ قليلاً منهم أن يفصحوا عمّا تحيّز في صدورهم خشية النقد من جهة ، وخوفا من كابوس الاحتلال الجاثم على صدورهم من جهة أخرى .

بينما ترى الفئة الأخيرة أنّ الديوان قليل المادة ، إذا قيس بغيره مما أثراه صاحبُه في كتبه ورسائله ومقالاته وخطبه ، من كنوز غزيرة تغدو أثراً خالداً صنعته نيجيريا المسلمة على صعيد حياتها الأدبية ، ومن جملة مآخذهم أنّ النزعة الفكريّة قد استحوذت عليه إلى حد تلهيه ظواهر الحكم والأمثال والبراهين والحقائق عن خصائص فنيّة تضفي على الشعر ظلالا موحية ، وأنّه قد غلبت على كثير من أبياته ضرائر ، وكان أسلوبه على حدّ قولهم قد تنحّى عمّا اعتاده الأدباء من رسوم فنيّة جميلة ، ونتيجة ذلك حكمُوا على ديوانه بأنّه أقرب إلى النثر منه إلى الشّعر .

وبناء على ذلك كلّه تناولت الدراسة تلك الجوانب مبدية رؤية حصيفة على وسع الطاقة ، بعيدة عن التحيّز والعشوائية ، يرتاح لها القارئ المنصف في

تضاعيف الكلام ، وبهذا يخرج الديوان من ثيابه البالية فيهيب إهابة مغرية بملاحقة المبدعين ، فعسى الله أن يهيّئ عوامل تنمية مواهب ذوي الأذواق السليمة من شعراء وكتاب وخطباء ، وهي ضرورة حياتنا في واقع إسلامنا وتراثنا وأدبنا لتجديد بناء أمتنا وكياننا على أسس قويمة .

وأما الخطة فتنحصر في مقدّمة وثلاثة أبواب ، وفصول تتضمّن مباحث عدّة ، وفي الباب الأوّل تضمن الكتاب حياة الشاعر عاقداً قوله على تعريف الإلوري ونسبه ، ومبينا مولده ونشأته ، منطلقا إلى مؤثّرات تكوينه محدّدة في البيئة والجنس والمزاج والثقافة ، حتى إذا ما انتهى إلى الباب الثاني فدرس قضايا الأدب الإسلامي في مكتبته العامّة ، وأوضح مفهوم المنهج ، ثم عُنِي بنشأته فكرة فعملا ، مبيّنا الظروف المحيطة ، ومضى متتبّعا أبعاده في واقع تراثنا النيجيري موضّحا الشعب التي ينبثق منها ، والجذور التي يمتد إليها ، وأقام البيان على طابعه السلوكي في الصورة العامّة ، واقتضت المواقف وضع الديوان جسرا أمينا لينابيع أخرى من أفكاره وآرائه على ضوء ما ورد من مقالات وكتب وندوات وفتاو وحوار ، حتى يتّخذ الجميع شكلا موحّداً في المحور العام من آثاره .

وأخيراً بنى الكلام على الباب الأخير موضحا خصائص الالتزام العقلي والقلبي ، واليقظة والصحوة ، والغاية والهدف ، وناهضا إلى بناء هذا التحليل على جهود مضنية تستوجب تجميع طاقات واسعة على أسس يقوم بها الأدباء المؤمنون عند شدّ كلامهم على دقّة التكامل بين الشّكل والمضمون وما إليهما من الصيغ الفنية العليا ملتزمين في هذا وذاك وفاء التلاحم بين التنظير والتطبيق ؛ إذ لا ينفصلان البتة في العروض الفنية .

وبهذا يلاحظ أنّ الديوان قد لبّى نداء المنهج في توثيق الصّلة بين القيم الفكرية والفنية ، فهو يدعو إلى الفضائل دعوة صادقة لا مواربة ، ولا تلين قناته لمحاربة خبائث الرذائل ، ولا يتهاون في تقدير عظمة شروط فنّية ظلّ

النّقّاد البارعون يحرّرونها تعبيراً جيّدا عن الخالق والخلق ، والكون ، والحياة ، غير أنّي لم أزل أشعر شعورا قويّا بالتقصير ؛ إذ الظروف لم تهيئ لي إلاّ هذا القدر اليسير ، ولله الكمال وحده .

بيد أنّه قد طرق من قبلي الموضوع كتابٌ وباحثون ، وأنا مدين لهم بالتقدمة والفضل والسبق ، مقدّرا جهودهم العظيمة ، فقد عانوا معاناة شديدة في ضخامة المواد وتعدّد الشعب ؛ إذ لم يواجههم رجلٌ واحد ، بل كانوا أمام تراث عريض هائل أخذ من عدّة أنماط ليطعمها ويغذيها ، وهي نماذج غدت متنوّعة الوجوه ، حمالة المذاهب ، تنطلق من أصول إقليمية ووطنية ، ثمّ انتهت إلى عالمية فكونية عملاقتين ، وأخيراً اقتنعوا بسلوك مناهج مختلفة حسب ما يلونهم من اتّجاهات ، وما يحكمهم من أذواق ، وميول ، عارضين أسلوبه ، وما يمتاز به من وضوح ودقّة بناء على ما تعرض له من نصوص ، كالدكتور علي أبي بكر[1]، والأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي[2]، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق أبي بكر ديريمي[3]، ذ . شعيب بخاري[4]، وعمد بعضهم إلى طرف من حياته مشيدا بقيمتها الفكرية والفنية ، كالأخوين : الأستاذ أحمد شعيب ، والدكتور الإمام عبد الحميد شعيب[5]، ويميل بعضهم إلى ما له من

(1) الدكتور علي أبوبكر ، الثقافة العربية في نيجيريا ، مكتبة عبد الحفيظ اليسار ، بمصر ، القاهرة ، ص : ٣٤٩.

(2) الأستاذ الدكتور أحمد سعيد غلادنث : «حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا»، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ، ص : ١٨٧.

(3) الأستاذ الدكتور أديريمي أبوبكر : «إسهام يوربا في الأدب العربي» ، رسالة دكتوراه بجامعة لندن ، سبتمبر (١٩٨٠م).

(4) ذ . شعيب بخاري : «الأدب العربي في بلاد يوربا» ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير بجامعة بايرو كنو.

(5) ذ . أحمد شعيب الإمام أغاكا : «الشيخ آدم الإلوري وجهوده العربية والإسلامية» ، بحث التخرج لنيل الدرجة العالية بجامعة عثمان بن فوديو ، ودكتور الإمام عبد الحميد شعيب ، «الثقافة العربية في مدينة إلورن» ، بحث التخرج ، بجامعة بايرو ، كنو .

ذوق فنّي وبياني كما فعل الدكتور حمزة عبد الرحيم[1]، والدكتور عيسى أبوبكر ألبي[2]، والأستاذ البلبل الصدوح صديق فاروق[3]. وفي الآونة الأخيرة أخرج الأستاذ الدكتور عثمان شعيب بلوغن كتيِّباً تناول فيه مواقفه[4]، وهو امتداد من بحث قدّمه في ندوة الجامعة الإسلامية بساي ، في جمهورية النيجر ، ومن قبل كتب الأستاذ عبد الرحيم حمزة[5] تراجم نخبة من الشيوخ الأدباء ، وكان الإلوري ضمنهم ، وغير ذلك من بحوث ، وكتيبات ، ورسائل ، ومقالات في التربية ، والفكر ، والعقيدة ، والتصوّف ، والنحو ، والنقد ، ما لا يعد ولا يحصى في مجالات أكاديمية ،وهي آثار نفعت ولا تزال تنفع موضوعاتها .

أما الذي قمتُ به ـ ولله الحمد والثناء ـ فإنّه يعدّ طريفا وظريفا لا من حيث الخطّة والمنهجية فقط ، ولا في الموضوع والأداء فحسب ، ولا لأنّه يسعى على سنة أمثاله لبلورة جهودهم مرآة شفّافة تعكس ما له من قيم الشعور والتفكير والتعبير ؛ بل لأنه يضيف إلى ذلك كلّه عظمة الانضمام إلى الموكب الإسلامي عند بناء أركان الأدب وفنونه .

ومن المحقّق أنّ غير قليل من أصحاب السذاجة والهوى لا يزالون يرتكبون وعرة المسالك متجرئين تجرّأ استخفاف ، فيتكلّفون ما ليس في طبعهم ، فعادت كتبُهم وبحوثهم وقصائدهم غثثا هزلة مهلهلة ، وجثثا هامدة لا تجدي في التأليف متعة معرفةٍ ، ولا في الإبداع مغزى فنّ رائع .

---

(1) دكتور حمزة عبد الرحيم : « البلاغة بين العربية ولسان يوربا »، رسالة دكتوراه بجامعة إلورن.

(2) دكتور عيسى ألبي أبوبكر : « البلاغة العربية في آثار الإلوري »، رسالة دكتوراه بجامعة إلورن.

(3) ذ . صديق فاروق : « مختارات من توجيهات المنبر ».

(4) الأستاذ الدكتور عثمان شعيب : « الأدب العربي المعاصر والشيخ آدم عبدالله الإلوري ».

(5) ذ . عبد الرحيم حمزة : « حماة الثقافة العربية في نيجيريا »، (٢٩-٣٦) (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

واعترافا بالحقّ والجميل ، فإنّ يراعي ينطلق بتنويه صنيع كلّ من أسدى إليّ وسعه وطاقته من تشجيع ، أو ملاحظة ، أو إمداد ، إيماناً منهم بوحدة المشاعر والعواطف ، والهدف والغاية ، لإنقاذ تراثنا الإسلامي من اتباعية كلّ ناعق وناهق ، وللعودة بأمجادنا إلى مكانتها في الصدارة أسوة بالأسلاف الصالحين الذين كانوا يعزّ عليهم شقاء الناس ، ويشدّهم الحرص على سعادتهم ، وبهذا تتمّ لنا جميعا القيادة الحكيمة وعدا من الله في كتابه العزيز :

﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٤-٦).

وأسأل الله جلّ شأنه أن يمنّ علينا بالسّداد والتوفيق ، إنّه نعم المولى ونعم النصير . ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف: ٤٦) .

صكتو : ١٧ من ذي القعدة ، ١٤٢٣هـ

الموافق : ٢٠ من كانون الآخر ، ٢٠٠٣م

الإمام البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا ،

جامعة عثمان بن فودي

قسم الدراسات العربية ، صكتو ـ نيجيريا